حديث فى التصوف

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة

سبيل الصوفية فى نشر مبادئهم :

يأخذ الصوفية فى تلقين مبادئهم وتعاليم آدابهم لمريد التصوف بالوسائل الآتية :

(ا) التواصى بالحق .

من حكم الصوفية قولهم ، نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وقد علمنا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، كما علمنا صحبة الصالحين الذين آتاهم الله الحكمة فقال إذا رأيتم الرجل أوتى زهداً فى الدنيا ومنطقاً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة .

وجاء فى القرآن الكريم « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » ، وقال العلماء الحكمة هى العلم النافع . والصوفية يتواصون بالحق ليشغلوا الناس به عن الباطل وعن اللغو الذى لا فائدة منه وقد قال تعالى :

« والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

(ب) البيعة :

وللتوصل إلى التواصى بالحق بهمة وصدق وعزيمة يبايع المتابع منهم أماما أرشد منه فى أمر الدين على طاعة الله ورسوله ويتخذه أستاذاً يأتمر بأمره ويكون هذا الأستاذ قد استرشد من قبله بإمام آخر ، وهكذا إلى أن يصل الأتباع إلى سادتنا الصحابة فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والبيعة أمر شرعى ثابت فى الدين من أفعال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقواله وقد ثبت بالقرآن الكريم مبايعته لأصحابه تحت الشجرة وهذا لا ينافى سابق إيمانهم بل يؤكده ويوثقه ، وامتدح الله تعالى هذه البيعة ورضى عن المبايعين . كما بين خطر البيعة وعظم شأنها ، وإن مبايعة سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم هى مبايعة الله فقال تعالى :

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما » .

وقال أيضاً « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » .

وثبتت بالقرآن الكريم مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنات على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينه فى معروف .

وثبت أن البيعة كانت تحصل بإعطاء اليد وقبول الميثاق الذى يأخذه سيدنا رسول الله على المبايع ، يدل على ذلك ما فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه فى بيعة الشجرة وضع يده اليسرى على يده اليمنى الشريفة وقال وهذه يد عثمان ، حيث كان فى مكة يفاوض أهلها على الصلح فى عام الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة .

ومؤدى ما تقدم إن البيعة على الطاعة أمر شرعى من سنة سيد المرسلين فهى تجديد للعهد وتقوية للرابطة وتذكير بالميثاق الدينى ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم « من بايع إماما أعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع » ويقول الله تعالى:

« يوم ندعو كل أناس بإمامهم » فالبيعة من أسس الدين والإمامه كذلك .

(ح) الصحبة :

نوه الله تعالى بالصحبة فى قوله الكريم « ثانى إثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » وبين بذلك شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على من كان يصحبه وهو الصديق رضى الله عنه . وقد جاء فى سورة الكهف إن سيدنا موسى عليه السلام قال لسيدنا الخضر عليه السلام « هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال فإن اتبعتنى فلا تسئلنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً » .

ويستفاد مما تقدم أن الصحبة فى الدين مطلوبة لتزكية النفس ولطلب المزيد من العلم الربانى فإنى سيدنا موسى عليه السلام مع رسالته لم يزهد فى أن يستزيد من العلم الربانى الذى كان عند الخضر عليه السلام حيث بين أنه كان عبداً من عباد الله الصالحين وقال الله تعالى فى شأنه « آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » .

والصوفية يعلقون على الصحبة الصادقة أهمية كبرى فى تربية النفوس ورياضتها فى السلوك إلى الله ويذهبون إلى أن المؤمن يحتاج فى تربيته إلى إمام راشد فى الدين يريه عيوب نفسه ورعوناتها ويعاونه فى سلوك طريق القوم ويذهبون إلى أن الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكنه لا يثمر وكذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجىء منه شىء .

ومن حكم الإمام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه « لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس إلا حيث تأمن معصية الله ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا .

ويعجبنى ما قاله أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه فى هذا المقام :

إذا لم يكن للنفس شيخ له هدى
يؤدبها بالروح زاغت عن السير
ولا يعبر البحر الخضم ونوه
سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر
ولولا اتصال الكهرباء بأصلها
على موجة التيار ما نورها يسرى

كما تعجبنى حكمة أمير الشعراء شوقى رحمه الله إذ يقول :

إساة جسمك شتى حين تطلبهم
فمن لرواحك بالنطس المداوينا

(د) ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى :

أجمع العارفون على أنه لا يجمع العبد على ربه ويوصله إليه إلا ذكر الله تعالى والمداومة عليه وخلوة القلب به كما كانت الأنبياء تفعل ذلك وتبعتهم الأولياء . وقد حث القرآن الكريم على ذكر الله ذكراً كثيراً فى مثل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا » وقوله تعالى « فاذكرونى أذكركم » وقوله تعالى « ..والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم

مغفرة وأجراً عظيماً » ونهى الله تعالى عن الغفلة فى مثل قوله تعالى « وأذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » كما دعت السنة النبوية إلى ذكر الله ، فقد ورد عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا : ما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله تعالى » . وهذا لا يقلل من شرف مجاهدة الأعداء بل يبين علو درجة الذاكرين .

وورد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله » .

والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب ، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه . وأنشد بعضهم :

ما أن ذكرتك إلا هم يزجرنى
قلبى وسرى روحى عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بى
إياك ويحك والتذكار إياكا

ومن خصائص الذكر أنه جعل فى مقابلته الذكر حيث قال الله تعالى « فاذكرونى أذكركم » وفى خبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول « أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم » فقال وما ذاك يا جبريل فقال قوله تعالى « فاذكرونى أذكركم » لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة .

وقال مولانا الحسن رضى الله عنه « تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء . فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق » .

والذكر له أسرار عليا وهو يورث ولا شك محبة الله كما يورث نور المعرفة وصدق الصلة بالله وحلاوة المناجاة ، والذاكرون الله كثيراً يعيشون بأبدان أرواحها المعلقة بالملأ الأعلى . ويقول أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل فى حكمه الملهمة :

واكتحال العيون أيسر شيء
واكتمال القلوب صعب المنال
هو ذكر ورغبة شهود
ووفاء للخالق الفعال
رأيتك لى من الدنيا كفيلى
ولم أر غير ركنك من مقيل
تجنبت الشكوك فما عرتنى
وأدركت الحقيقة فى مثولى
وفتشت العلوم وعارفيها
فلم أر كالمحبة من دليل
محبة خالقى مشكاة قلبى
على أنوارها ألقى وصولى
ولى من مشرق الإيمان عزم
سموت به على كل الفحول
علوى فى الورى نفحات ربى
فما بلغوا مذاقى أو شمولى

كما يقول :

قتلت هوى نفسى فعشت بلانفس
وجافيت أنسى فانحدرت إلى الأنس
وما اتخذت روحى سوى الله غاية
فتم الهدى للروح والقلب والحس
وإن رفع المثرون عجبا رؤوسهم
رفعت بذكر الله فوق الورى رأسى
وتوجت بالقرآن نفسى عقيدة
أصون به نفسى عن الزيغ والدس
وإن شرب الناس الطلا وتصببوا
فسنة خير الخلق فى شربها كأسى
ولم أعشق الدنيا فتلك مجازة
تهىء للأخرى وفى فوتها عرسى
إذا رضى الرحمن عن قلب عبده
جرت مركب الأقدار معه على اليبس

ويقول كذلك :

قد شربنا من حبه فسكرنا
وعرفنا من أين نأتى الجوارا
ودخلنا دار السكرامة نروى
بيقين الهدى وكنا حيارى
أعذرونا إذا نهيم فإنا
فى ديار الهوى خلقنا أسارى
وترانا من حيث نشرب فى الكأس
سكارى ولم نكن بسكارى
نتحلى بالعلم فى كل ناد
ونرى بالتقى علينا أزارا
فقلوب مثل الكواكب فينا
تظهر النور فهو لا يتوارى

وهو بهذه الأبيات الصوفية النيرة يجدد ذكرى الصوفية الماضين ويرينا صورة من صورهم وقد كانت همته رضى الله عنه فى ذكر الله وطاعته لا تبارى ولعل الكثير منكم رآه واجتمع به واستمع إليه .

شيخ مشايخ الطرق الصوفية

يطلب من النيابة منع برامج « الدراويش » من الملاهى

ومحاكمة من يقدمونها لأنهم يسيئون إلى الدين والتصوف

تقدم السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ببلاغ إلى نيابة عابدين اتهم فيه أصحاب بعض الكازينوهات والمحلات العامـــة بالإساءة إلى الدين ومبادىء التصوف لأنهم يقدمون فى محلاتهم برنامجاً باسم « الدراويش » يظهر فيه بعض الأشخاص ويأتون بحركات تمثيلية تسىء إلى الدين وإلى التصوف . وطلب منع هذه الفرق من الظهور والعمل فى المحلات العامة .

وذكر شيخ مشايخ الطرق فى بلاغه أنه علم من بعض الغيورين على الدين والتصوف أن بعض الملاهى والكازينوهات تقدم ضمن برامجها برنامجاً باسم « الدراويش » يلبس المشتركون فيه عمائم خضراء ويضعون على صدورهم شارة من نفس اللون ويبدون فى الزى الخاص بأعضاء مشيخة الطرق الصوفية .

فضلا عن أنهم يستكملون مظهر المتصوفين بإرسال شعر ذقونهم ثم يظهرون على المسرح وهم يضربون بالدفوف والصاجات ويأتون بحركات تمثيلية تسىء إلى الدين الحنيف وتعطى الأجانب صورة مشوهة عن الإسلام والتصوف .

واتهم شيخ مشايخ الطرق الصوفية ممثلى فرق « الدراويش » ومن يحركونهم بأنهم يتخذون من هذا التهريج الرخيص وسيلة للكسب غير المشروع غير عابئين بسخريتهم واستهزائهم بمبادىء الإسلام والتصوف ، والصوفية تبرأ من مثل هذه الأعمال المنافية للآداب والتى يعاقب عليها القانون .

واستطرد شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى بلاغه قائلا أن ماوصل إليه من معلومات يؤكد انتشار برنامج « الدراويش » فى كثير من المحلات العامة من بينها كازينو بالأوبرا وملهى بسوق الإنتاج .

ثم ختم بلاغه بطلب اتخاذ الإجراءات اللازمة فورا لوقف جميع هذه البرامج على جميع مسارح الجمهورية العربية المتحدة وتقديم أصحاب الكازينوهات والمحلات العامة إلى المحاكمة بتهمة تشويه جلال الإسلام والإساءة إلى مبادىء الصوفية السامية حتى لا نظهر أمام الأجانب بمظهر غير لائق بنا .